نظرة إلى المستقبل الوضاء

سادتي الأمجاد، أبنائي، رجال الغد المشرق في جزائر العروبة والإسلام والنهضة الكبرى إني لجد مغتبط وسعيد إذ يسر الله لي أسباب حضور ملتقاكم هذا وأتاح لي من جديد شرف الانغماس في معين الحياة الفكرية والأدبية والاندفاع الثوري الخلاق الذي هو شعار جزائرنا الحرة الجديدة.

وإني علم الله كنت منذ أمد طويل، أتوق لحضور هذا الملتقى، وأذوب شوقاً لسماع محاضراته، ومناقشاته البنّاءة ولقد كانت والله مشعلاً وضاءاً ألقى نوره الساطع على ماضينا، وبين لنا أخطار حاضرنا، وحدد لنا معالم مستقبلنا السعيد، فما حال بيني وبين تحقيق هذه الأمنية الغالية إلا تلك الواجبات الكبيرة التي ألقيت على كاهلي في آخر حلقة من هذا العمر الذي طال فمثلت بلادي الحرة العاملة في شتى البلاد الإسلامية الثانية وازددت بذلك علماً واتسعت آفاق التجربة عندي وكنت خلال ذلك كما قلت ممثلاً لبلادي بدينها بلغتها بأخلاقها بثورتها، بكل هذه القيم العالية التي جعلت منها دولة بناءة رفيعة العماد متينة الأساس شديدة المراس.

إنني أتخطى اليوم أعتاب السنة الخامسة والسبعين

وأسعدني الله بتحقيق كل آمالي فيما جاهدت من أجله نحواً من ستين سنة مما كان يعتقده أكثر الناس في ذلك الأوان خيالاً وأوهاماً ويصفون بالجنون من جاهد في سبيل الأوهام والأحلام ويا ليتهم رأوا اليوم جزائرنا الفتية العملاقة تتقلب على بساط الاستقلال التام وترتفع فوق ربوعها أعلام الحرية الغالية مصبوغة بدماء شهداء الأجيال إذا لرأوا أن الحرية تؤخذ عنفاً واقتداراً، ولا تعطى هبة وفضلاً إذاً لرأوا أن أوهام الاستقلال تصبح خفيفة نابئة وراسخة كالأطواد، إذا ما بذلت في سبيلها الهج والأرواح، وإذا ما قدمت في سبيلها مواكب الضحايا يتلوا بعضها بعضاً.

من أعز هذه الأمنيات الغالية التي شاهدت تحقيقها هي هذه المعاهد الإسلامية العربية النادرة المثال المنبتة كالنجوم الساطعة فوق أديم الأرض الجزائرية الطاهرة، والتي إن كنت أعتز في حياتي بشيء فإنني أعتز بشرف تأسيسها وابتكارها، وإخراجها من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة الوضاءة منذ عشرة أعوام، أيام كنت وزيراً للأوقاف بجمهوريتنا الناشئة.

وبالله كم قاسيت يومئذ من عنت ومن إرهاق في سبيلها وكم تحملت من أذى ذوي القربى والذين وحدت بيني وبينهم الأوطان وفرقت بيني وبينهم اللغة والأهداف إنما ذلك الجيل من المؤمنين المجاهدين الصادقين الذي التف حولي، وشد أزري وذلك المدد الهائل الذي أمدنا الله به على يد البطل العظيم الرئيس جمال عبد الناصر ورجال الأزهر الشريف، وأوقاف مصر المسلمة وذلك الإقبال المخلص المضحى من علماء الجزائر

وطلبتها، قد أكد لنا النصر العزيز والمؤزر: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ فأصبحت المعاهدين عشية وضحاها قائمة، وفتح أمام الجزائر طريق العروبة والإسلام والوطنية الصحيحة المجاهدة من أوسع أبوابه.

والآن وبهذه المناسبة أجد واجباً عليّ معروضاً، أن أتقدم بطاقة من جليل الشكر وخالص التهنئة والثناء لهذا البطل الإسلامي الكبير، وهذا المجاهد الجزائري العظيم سعادة أخي وصديقي الأستاذ مولود قاسم، وزير الشؤون الدينية والتعليم الأصلي وللصفوة المختارة من رجال الدولة الجزائرية الذين أعانوه وأبدوه ولرأس الدولة العملاقة المجاهد الهواري بومدين الذي نفخ في هذا العمل الجبار روحه وإخلاصه وإحساسه المرهف الرئيف فبفضلهم جميعاً رأينا الجدار يرتفع ورأينا البناء يشمخر ورأينا المعاهد ينمو عددها، ويعم نفعها، ويزيد نظامها، ورأينا بناء هذه الطائفة العظيمة من أبناء الجزائر الأبرار يلتفون حولها قلباً وقالباً فتخرج هذا الجيل الغصير الحي وتجمع مثل هذا الملتقى الذي أصبح حديث المسلمين في كل أقطارهم، ومنه ينفجر النور والمدى ويتجلى الكتاب المنير.

أراكم فانظر فوق جباهكم الوضاءة نور الإسلام، وشرق العروبة ومجد الوطن وسمو مازيغ وشهامة قحطان.

أراكم ما تمثل فيكم فحول الرستميين وعظماء الحمادين وكبراء الزيانيين وأبطال العثمانين أراكم فأرى هذه الجزائر قد

سمت بكم وبإخوانكم في مستقبل قريب نحو أوج العلا وأدركت شأواً لم يصل إليه أحد من أبناء العمومة وأبناء الخؤولة.

إنما تذكروا دائماً قول أحمد شوقي شاعر العروبة والعجم:

وما نيل الرغائب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

فإذا كنتم تمثلون أبطالكم وتجسمون تاريخكم وتحملون أمانة أمتكم وتفتحون أبواب المستقبل السعيد في وجه وطنكم فلن يكون ذلك والله إلا نتيجة جهاد وثمرة جهود، فالعلم والمعرفة يبتدئان على مقاعيد المعهد وينموان بالسهر والمطالعة والحوار الصالح ويعظمان بالمشاركة في الحياة العامة وبناء الأمة الصالحة والجيل الفاضل، والوطن العزيز.

جمع دراستكم التي هي عدتكم في الحياة طالعوا وتثقفوا وادخلوا ميادين العمل الصالح، المثمر تعلموا كل علم وارتادوا كل ميدان وادرسوا كل فكر ومحصول كل رأي سلاحكم القرآن، وأدرعكم الإيمان لكي تستطيعوا أن تردوا غائلة كل مبشراً زنيم، وتدرأوا دسائس كل دخيل أثيم.

كونوا مسلمين حق الإسلام فالإسلام عزكم والإسلام كيانكم والإسلام فخاركم لتكونوا مسلمين قولاً وفعلاً لتكونوا مسلمين سراً وعلناً وإن الإسلام هو الثورة العالمية الأولى وهو الثورة العالمية الأخيرة والإسلام قوة دافعة لا تقاوم نحو كل رفعة مادية أو معنوية، هو ثورة مستمرة تسير مع كل طور من أطوار الحياة تحرر الفكر وتعتمد على العقل وتحث على العمل

الصالح المثمر وتدفع بالفرد وبالجماعة وبالدولة نحو الكمال المطلق وبلوغ نهاية الدرب.

كونوا أعراباً كما يجب أن تكون العروبة، لغة وفضائل وأخلاقاً وكفاحاً في سبيل المثل الأعلى ولتتغلبوا على عقد النقص التي ألحقتها سنوات البوار والاستعمار بعروبتنا الطاهرة النقية ففي العالم العربي كله تجد اليوم جهاداً وجهوداً جبارة لنفض رماد الانحطاط عن هذه الجمرة التي لا تزال متقدة وضاءة جمرة العروبة الحية الخالدة وأنها ستعود بفضلكم وبفضل إخوانكم في شتى ميادين العروبة الفسيحة للإشراق المنير.

كونوا وأقولها صراحة دون غموض والتباس اشتراكيين ثوريين في دائرة الإسلام والعروبة والوطنية، هذه الاشتراكية الغير المستوردة والنابعة من صميم واقعنا ومن حاجة شعبنا، هذه الاشتراكية التي جعلت الأرض المسترجعة من الاستعمار وجعلت المعامل والمصانع والمناجم وحقول النفط ومنابع هواء الوقود كلها ودون استثناء ملكاً خاصاً للشعب المكافح العظيم، وهذه الاشتراكية التي تقود اليوم معركة الثورة الزراعية، وستقودها حتماً إلى النصر المؤزر فتعود الأرض لمالكها الشرعي وتتغير صورة الأرض الجزائرية ويعود لذلك الفلاح المنبوذ بحكم الاستعمار شرفه وعزه ومكانته الاجتماعية.

ولا أكتم عن أبنائي الأبرار مقدار ما خالجني من ألم وما ارتادني من كدر، عندما رأيت قائمات المتطوعين من الطلبة الذين أهاب إليهم الرئيس بومدين للعمال ضمن صفوف

المزارعين رأيتها تكاد تكون خالية من أسماء المتطوعين من المعاهد الإسلامية وهم أحق بها وأهلها، فمن أجدر طلبتنا الميامين مخاطبة المزارعين بلغة العروبة والقرآن وهم طلبة العروبة والقرآن.

وحذار حذار يا أبنائي أن تندس بين صفوفكم شراذم من دعاة الهزيمة المعوقين هؤلاء وهم قلة قليلة والحمد لله وأصبحوا دعاة للأجنبي وطليعة للرجعية المفسدة ولسان الأعداء والأمة والوطن ينتقدون عمل، ويشككون في كل مسعى ينادون وراء العاملين المخلصين بالويل والثبور، سعياً وراء كسب حرام وإثراء فاجر ومال سحت هم العدو، فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون.

أبنائي، لا تكونوا بعد تخرجكم من معاهدكم عياشين بل كونوا مجردين فالعياش هو من يجري لقمة العيش ولا يهمه من أمر الأمة والوطن شيء أما المجدد فهو الذي يحيا لأمته ووطنه لا لبطنه ولا لحبيبه، فليكن منكم المجتهد في الدين والمخترع والمنكشف والباحث ونحن التابعون وأتباع التابعين.

لا تكونوا أبنائي من قوم كان بل كونوا من قوم صار.

كفانا بكاء على الأطلال ولنفتح أبصارنا وقلوبنا على المستقبل السعيد الذي نبنيه بسواعدنا، وبعقولنا، وبإيماننا.

تغنينا مئات السنين، بذكر ابن خلدون والفارابي، وابن سينا، والغزالي وابن رشه، وابن العجام، وابن ماجد، وابن النفيس والمازري وما لا يحصيه العد من أمثالهم من العظماء

لكننا خلال كل ذلك لم ننتج في شتى أقطارنا من يناهيبهم أو من يسجل السمد إلى جانب أسمائهم فكنا بذلك من قوم كان.

كفى لنصبح من قوم صار، ولنندفع بقوة وإيمان في ميادين الأعمال الذهنية والفكرية والإنشائية فالفكر البشري واحد والعالم شيء واحد وميدان الاكتشاف والاختراع مفتوح أمام الجميع، إنما هي عزيمة الرجال تخور وتتضائل حول نفسها فيصاب المجتمع بالشلل، ويسير في طريق الموت البطيء بينما الآخرون يتقدمون ويترفعون.

إن الأمم العربية لا تزال ولوداً إنما المجتمع المنحل المتواكل هو الذي يئد أبنائها قوموا الأخلاق أبنائي فالأخلاق في تدهور عظيم، وما سقطت الأخلاق شعب الإسقط نتيجة ذلك أسفل سافلين يقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

أبنائي: إنها لنعمة من الله عليكم أن قيض لكم هذه الطائفة الصالحة من أعلام أمة الإسلام.

ومن كبار مفكريها وعلمائها يحاضرونكم في هذا الملتقى ويمدونكم بقبس من روحهم وقبس من تفكيرهم وغيض من توجيهاتهم الصالحة فلتكن آذانكم صاغية ولتكن قلوبكم واعية ولتكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فأنتم اليوم الشباب المتعلم وأنتم غداً القادة الواعون الصالحون والمستقبل ينتظركم والله مؤيدكم وناصركم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

أظن أنه آن الأوان سيادة الوزير المدره الحكيم وقد بلغت المعاهد هذا الثناء العظيم من الرسوخ والانتشار لإنشاء كلية العلوم الإسلامية التي تفجر أمام جيلنا الحكيم ينابيع الدراسات الإسلامية العليا ولنمط اللثام عن أسرار عظمتنا الغابرة ونأخذ بيد النابغين من أبنائنا إلى ميادين التخصص المثمر حتى نستطيع أن نجاري علماً وعملاً جهود كبار الباحثين والمستنبطين في الشرق وفي الغرب ولتدع كلية عبد الحميد بن باديس فتلك فكرة كانت تراود الراحل العظيم أثناء جهاده الموفق.

هذه الكتبة، سيادة الوزير موجودة قانوناً فقد صدر إنشائها أمراً ادرج بالجريدة الرسمية يوم 17/ 1/ 64 عدد 2 وقد آن فيما أرى أوان التنفيذ وما ذلك على همتكم وهمة رجال الحكومة الفضلاء بالأمر العسير.